سمو الامير احمد الجابر آل صباح

تولى الحكم بعد وفاة عمه في ١٤ رجب ١٣٣٩ وهو شاب في نحو الخامسة والعشرين من عمره او يزيد قليلاً .

في قصر دسمان : تشرفت بمقابلة سموه عدة مرات بمناسبات شتى كان فيها كلها مثال الكياسة واللطف ، وقد وصفت زيارتي الاولى لسموه والآن أصف زيارتي الثانية له :

كنت طلبت من مرافق سموه الخاص ان يحدد لي موعداً اقابل فيه سمو الامير واقدم له كتابا خاصاً من وزير خارجية سورية فحدد موعداً ذهبت فيه ميمما شطر قصر دسمان العامر حيث يقيم سمو الامير .

اندفعت بي السيارة في طرق الكويت ثم مرت بي في طريق معبدة مفروشة بالاسفلت بين صفين طويلين من الشجر وتحت اغصان الاثل ثم وقفت بي امام قصر جميل ازرق هو قصر دسمان العامر ، وهو قصر فخم واسع من طابقين ، فيه ساحات وأبهاء وتحيط به حدائق بسيطة يقع في اقصى المدينة من الشرق على بعد بضعة امتار من البحر مؤثث بالاساس الشرقي والاوربي الفاخر ، وفيه سينمة خاصة هي السينمة الوحيدة الموجودة في الكويت .

وقد شيد الى قربه مسجد لصلاة سمو الامير وعائلته وحرسه الخاص وحاشيته وقد بنى هذا القصر الشيخ مبارك جد الامير ثم جدده أبوه جابر ثم جدده سمو الامير الحالي .

دخلت باب القصر فاذا الجنود والفداوية عند الباب ببنادقهم وسيوفهم وخناجرهم البراقة والعبيد والخدم يحملون الصقور على ايديهم ، مشهد طريف قلما تراه في غير بلاد العرب . واستقبلني السيد عزة جعفر مرافق الامير الخاص وقادني الى

« الديوانية » حيث يقعد سموه ، وهي قاعة فسيحة مربعة الشكل بسيطة الاثاث متواضعة المظهر .

دخلت فاذا الامير في صدر القاعة ، سلمت وتقدمت اليه مصافحاً فتفضل ونهض وصافحني بشدة وحياني بحرارة ، وتراجعت قليلا الى الوراء آخذ مكاني في المجلس قبالة مرافقه الخاص ، ولكن سموه تفضل ودعاني الى قربه وأشار الى جنبه بيده ، وقال « يمي يمى » أي جنبي فامتثلت شاكراً .

وسموه الآن في العقد الخامس من العمر ممتلىء الجسم اسمر اللون جذاب الملامح سريع الحركة والاشارة دائم البشر طلق المحيا وسيم الطلعة عليه مخايل الامارة ومظاهر النبل وفي منظره جمال وجلال ، وإذا رأيته شعرت نحوه باحترام وحب ، احترام طلعته المهيبة البسيطة الحرة غير المتكلفة ، وحب شخصيته السمحة وبشاشته الدائمة وابتسامته التي لا تفارق شفتيه .

وجهه صبوح ممتلىء الى الاستدارة اقرب منه الى الاستطالة . اول ما يلفت نظرك منه لحية سوداء جميلة تمتد من طرفي الفم حتى الذقن على الطريقة النجدية ، وعينان سوداوان حلوتان صغيرتان براقتان ضاحكتان تكادان تتكلمان ، ونظراته حلوة قوية نفاذة ، ولم أر رجلا أحلى نظرة منه ، نظرة يمتزج فيها العزم باللطف والحزم بالحب والعطف . ولم أر عينين تفيضان عطفاً ولطفاً وتشعان وداعة ورقه مثل عينيه فيهما نور خاطف خلاب يجذب القلوب واشعاع يمتلك النفوس . وسموه نشيط بادي النشاط والحيوية ، يلبس ثوبا فاخراً فوقه عباءة محلاة بالذهب ويلبس كوفية وعقالاً مربعاً مذهباً .

وهو في مظهره العربي جد جميل وجد مهيب ويعد من اجمل امراء العرب ، وليس في زيه أي رمز او اشارة من تعقيدات الامارة ، فألبسته جميلة بسيطة ، يمشي بعزم ويخطى ثابته ويتكلم بصراحة وتواضع ، واذا تكلم أشار بيده ، يتكلم بلسانه وعينيه والابتسامة الحلوة لاتفارق شفتيه ، يفكر قبل ان يتكلم فاذا تكلم انطلق واسترسل واذا تكلمت استمع اليك وأنصت واذا قابلته وحدثته يؤنسك حتى لشعر انك امام صديق عزيز قديم . وإنك ان جالسته مرة وددت ان لا تفارقه ابداً ، لطيف

في شكله وحديثه وروحه ، رقيق ولبق كل الرقة وكل اللباقة .

كان سموه يحدثني ببساطة عن دمشق وعن سورية وعن الغوطة والمهاجرين والمرجة وبردى ؛ وقال انه احب دمشق جداً وقد زارها عام ١٩٣٧ واكرمه الدمشقيون . قلت : قمنا بالواجب . قال : بل فوق الواجب، وسموه يرى ان دمشق هي اجمل العواصم العربية واكثرها احتفاظاً بالصبغة الاسلامية والطابع العربي والميزات الشرقية وقد احب سموه ان يشتري فيها منزلا له ، ولكن الظروف لم تسمح ولعلها تسمح الآن وكان في حديثه يلتفت الي ويخاطبني بلهجة اخوية وبتواضع من دون تكلف فلا ألقاب ولا رسميات عنده كان يناديني : . أخ فيصل. وفيصل. وقايلا يا استاذ .

كان يسألني عن الكويت فاقول : زين ، وعن الكويتيين فأجيب : فيهم ذكاء ودين وخلق ومال ولكن تنقصهم الثقافة ، هم مثل قطعة الماس او حبة اللؤلؤ التي يعلوها التراب لا يظهر لمعانها وبريقها الا اذا ازيح عنها الغبار ، والثقافة هي التي تجلو جوهر الكويتيين .

كان يسألني عن عملي وعن نجله صباح – وكان تلميذاً عندي – فأجيبه فيقول: ترى أنا اشكرك أخ فيصل . فأجيب هذا عطف سموكم ، لا شكر على الواجب .

لم أر سموه في جلسة اجمل منه في هذه المقابلة ، عطف اكيد وبساطة وجاذبية والحق يقال انني تمنيت ان لا تنتهي المقابلة فقد سحرني بلطفه وظرفه ولكن لا بد من مغادرة المكان :

كتاب وزير خارجية سورية : فنهضت وقدمت له كتابا خاصاً من وزير خارجية سورية . وقلت : ان صاحب المعالي وزير خارجية الجمهورية السورية يقرئكم السلام وقد كلفني ان اقدم لسموكم هذا الكتاب الخاص فتقبله بابتسامة شاكراً وقال : « حنا اخوان ماكو فرق ، سورية والكويت كله واحد » .

وهذا نص الكتاب :

في ٥ شوال سنة ١٣٦١ ١٥ تشرين اول ١٩٤٢

الى حضرة صاحب السمو الملكي امير الكويت المعظم

من وزير خارجية الجمهورية السورية

أود أن أرفع لسموكم شكر الحكومة السورية على الثقة التي وضعتها حكومتكم بالشباب السوري اذ انتقته لبعض الوظائف التعليمية في ادارة معارف الكويت ، وهذا العمل الجليل هو رمز حي للتعاون الثقافي الوثيق الذي لا بد للبلاد العربية من مساهمة فيه [اذا أرادت ان تبني صرح نهضتها على اسس صحيحة تؤدي الى الاصلاح الصحيح والوحدة المنشودة] .

والحكومة السورية ترحب دوماً باي مشروع من شأنه ان يقرب بين اجزاء الامة العربية الواحدة مهما كان شكله ونوعه ، وانني اذ اعبر لسموكم عن شعور الحكومة السورية في هذا الموضوع اقدم لسموكم الشباب السوريين اللذين تفضلتم فعينتموهم في ادارة معارف الكويت ، راجياً ان يلقوا العطف الذي يستحقونه على يد سموكم .

وتفضلوا يا صاحب السمو الملكي بقبول اسمى عواطف الاجلال والولاء .

وزير الخارجية : [فائز الخوري]

وقد سألني سموه عن رأيي في الجواب هل يسلمني اياه فاسلمه بدوري الى وزير الخارجية ام يرسله رأساً وللحال الى دمشق فأشرت على سموه بالرأي الثاني وقد فعل وأرسل رداً لطيفاً .

ونادى سموه « قهوة » فردد الخدم والعبيد بصوت واحد « قهوة ، قهاوة » ، وحضرت القهوة فتقهوى سموه وتقهويت وتحدثنا قليلا ثم استأذنت بالانصراف فتلطف ونهض مودعاً وصافحني وكلف مرافقه الخاص ان يشيعني الى السيارة .

رأيه في الوحدة العربية : وكانت آخر زيارة تشرفت بها بمقابلة سموه يوم مغادرتي الكويت عائداً الى سورية قابلته مع البعثتين السورية والمصرية وجرى لي مع سموه حديث عن الوحدة ، فقال سموه : « حنا اخوان ماكو فرق بين الكويت وسورية ومصر

والعراق وأي قطر عربي آخر . كله واحد » ، ثم قال :

« والاوربيون ليسوا خيراً منا بل نحن نفوقهم بالذكاء والعقيدة » . ثم اطرق قليلا وقال :

« ولكنهم متحدون ونحن متفرقون تشده — أي هكذا » وصالب سبابتيه .

قلت : « بمساعيكم ومساعي ملوك وامراء وزعماء العرب تتحقق الوحدة العربية ان شاء الله » . فالتفت وقال :

« تدري الصحيح . حنا ما قصرنا ؛ وقد بحثت في هذا الشأن مع بعض ملوك العرب » . قلت :

« آن الاوان يا صاحب السمو » فاهتز هزة الحماسة والحمية وقال بحزم :

« أخ فيصل اتفقوا على ملك وأنا اكون خادم ، اي بالله اقول ، اكون خادم » .

بارك الله بسموه وبكل امير عربي يشعر هذا الشعور النبيل ؛ وقد هزتني كلماته فكدت اهتف واصفق لسموه وما منعني سوى حلال المجلس ولكنني صفقت وهتفت له بقلبي .

ان امة تعتز بالعروبة والاسلام فيها مثل هذا الامير ويهزها مثل هذا الشعور لن تتراجع حتى تتحرر وتتوحد وتسود العالم .

وسموه محبوب عند الجميع يجلونه ويطيعونه ، ولا غرو فهو طيب القلب دمث الاخلاق يحب رعيته ويعمل لخيرها ؛ ميال للسلم لين الجانب من غير ضعف ؛ وهو عاقل حكيم رزين يقدم عند الاقدام ويحجم عند الاحجام ؛ سياسي لبق يعالج الامور بحكمة وروية وهدوء وهو يعرف ويعترف بان من حوله اقوى منه ويطمعون به لذلك تراه يداري ولا يستسلم وقد استطاع بحنكته ان يحفظ بلاده من الطامعين. ولا أدل على مهارته ولباقته السياسية من المفاوضات التي جرت بينه وبين ابن سعود غداة وقعة الجهرة حينما ذهب على رأس وفد الصلح . فلما بلغ ابن سعود نعي الشيخ سالم التفت الى سمو الامير وقال له :

« لا لزوم لمعاهدة ولا حاجة لشروط فانا سيفك المسلول اضرب بي من شئت . وأنت وألى بالقبائل التي تحت امري ، ولك ان تؤدب من تشاء اذا بدر منها اعتداء

على احد رعاياك . اما حدود الكويت فانها ستمتد الى اسوار الرياض ؛ لك على هذا عهد الله وميثاقه » .

ثم اخذ الملك ورقة الصلح ومزقها ونادى المنادي بين الاخوان في نجد (ان سوق الكويت ونجد والاحساء واحد ولا معارض لمن اراد السفر الى الكويت). وحذرهم من الاعتداء على من ينتسب لآل صباح واذن للنجديين بمسابلة الكويت والامتيار منها . وهذه نتيجة باهرة ما كان يمكن ان يحصل عليها إلا سمو الامير .

و علاقات الخارجية بين آل صباح وآل سعود قوية ومتينة فهم حلفاء واصدقاء وآل صباح هم سيوف آل سعود التي انتصروا بها على آل رشيد . كما ان بين جلالة ابن سعود والشيخ احمد علاقات شخصية قوية وصداقة لا تنفصم عراها . وقد استنجد ابن سعود مرة بالشيخ احمد حينما كان يحاصر حائلا فأمده الامير بكميات كبيرة من المال والاغذية مكنت ابن سعود من متابعة القتال حتى النصر . وجلالة ابن سعود يحفظ لسمو الامير يده البيضاء .

وإن تكن حدثت بين الرجلين العظيمين جفوة بسبب (المسابلة) اي تعامل النجديين مع الكويتيين الا ان هذا لا يعدو ما يقع احياناً بين الاخوة .

وسمو الامير مثقف الثقافة المعروفة في عهده وهي العلوم الدينية والعربية ، وهو رجل هادىء يعمل في سكون ويكره الضجة ؛ اخلاقه عالية وهو غير مستبد وانما يستشير كبار القوم فيما يعرض له من الامور ، وهو يحسب للرأي العام حسابه ولكنه لا يندفع في تياره ، ولا ادل على ديموقراطيته من تأسيسه لمجلس الشورى وللمجلس التشريعي .

وسموه محافظ على الآداب الاسلامية ، والتقاليد العربية وهو مع ذلك معجب بالمدنية الاوربية ويقتبس منها ما يفيد ، ويريد ان تصير بلاده وبلاد العرب مثل اوروبة في الحضارة والرقي .

وقد زار بلاداً كثيرة في الشرق والغرب وزار انكلترة سنة ١٩١٩ بناء على دعوة من ملكها وقد رأى فيها من الرقي ما شجعه على ان ينهض ببلاده ، كما انه زار سورية ومصر واعجب بنهضتها . وزار ايضاً جلالة الملك فيصل في بغداد

فأعجب بنهضة العراق وقد قلده جلاله الملك فيصل وسام الرافدين .

وسموه يحب مشاهدة السينما في قصره ، وامين سره الخاص يقرأ له الجرائد والمجلات ؛ ويتسلى بلعب البليارد .

وهو مغرم بالقنـاص (اي القنص) ويقضي فيـه اياماً طويـلة ؛ وقـد ينأى فيـه عن الكويت مئـات الأكيال أحياناً ترافقـه حاشيته ، ويعـد من امهر الصيـادين يرمي طريدته وسيارته منطلقة به في الصحراء ، وكثيراً ما كان يهديني من صيده .

وسموه غني جداً ويعد من اغنى امراء الشرق ، وله أطيـان واملاك واسعة في الكويت والبصرة ومصر . وهو من القائلـين بالنظرية النقديـة فهو يملك ثروة نقدية ضخمة ، وعنده عدة سيارات فخمة .

يستفيق كل صبـاح فيصلي ويقرأ القرآن ويتناول الريوق ثم يجلس لاستقبـال الخاصـة وبعد قليل يمضي الى قصر الكشك للنظر في مصـالح النـاس فيمكث ساعتين او اكثر ثم يعود او يتجول في المدينة او يزور دوائر الحكومة ؛ يستمع الى شكاوى الناس ، ويأخذ مطالبهم بعين الاعتبار : ويقضي لهم حوائجهم ولا يتأخر عند اللزوم عن البطش باكبر موظف في حكومته اذا وجد فيه اعوجاجاً ، لذلك يهابه بقية الامراء وافراد الشعب ، ولسموه عدة قصور خارج الكويت .

ويمتاز عن اسلافه بحبه للاصلاح وميله للتجدد . واكثر ما في الكويت الآن من نهضة تم على يديه : المعـارف والصحـة والعمران الخ ... وهو دائب العمل على الاخذ بيد الكويت الى الامام وفقه الله واطال عمره .

ولسموه عدة انجال وهم ؛ عبدالله ومحمد وجابر وصباح وخالد ونواف ومشعل .